دار العلوم

حديث صادر لحضرة بك
ناظر مدرسة دار العلوم

الأسئلة

١ — نريد ملخص سريع عن تاريخ دار العلوم العليا منذ نشأتها حتى الآن ، مع بيان تعدد طلابها ، ومتخرجيها

٢ — هل اتصل معهدكم بمعاهد الدراسات الشرقية في الشرق والغرب ، وما هو نوع هذا الاتصال

٣ — ما هو سر الانفصال بين الأزهر والجامعة المصرية ودار العلوم ، ولماذا يسمى ؟

٤ — ما هي النتائج العلمية والأدبية التي وصل اليها معهدكم خلال دراساته الطويلة ؟

***

تلك هي الأسئلة التي وجهها اليناه المقتطف ، ونحن نشكر له في شخص محرره عنايته بتدوين تاريخ المعاهد العالية المصرية ، وما أشد حاجة الناس اليها في هذا الوقت ، وهي فكرة حميدة .

ولعل أهم الأسئلة بعد السؤال الأول — هو السؤال الرابع ، وما كان أغنانا عن الخوض فيه لبداهته ، لولا رغبة المحرر في انسجام المواد التي سبق نشرها عن المعاهد الأخرى بالمجلة وها نحن أولاء نذكر شيئاً عن الأسئلة الأربعة

— ١ —

« دار العلوم » اسم أطلقه المرحوم علي مبارك باشا مدير « ديوان المدارس » في عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا سنة ١٨٧١ على المدرج « الاقتباس » بسراي دوب الجامع الذي كان يحتفل فيه بالامتحانات السنوية أمام سمو الخديوي أو نائبه ترغيباً في طلب العلم وتنشيطاً للمتعلمين إذ ذاك

رأى — رحمه الله — أن يشغل هذا المدرج بقية أيام السنة بالقاء دروس عالية عامة على طلبة الفرق العالية بمدارس الهندسة والحقوق والمساحة

ولنظراً لما تجدد من المكاتب الأهلية « المدارس » وحاجتها الى معلمين ذوي كفاية للقيام بوظائفهم — فكر في تأليف فرقة منتخبة من طلبة الأزهر الشريف يعيَّن لهم مدرسون للتدريس في هذا المكان المسمى « دار العلوم »

ويقال أن الغرض الذي رمى اليه المرحوم علي مبارك باشا من إنشاء دار العلوم والعناية بها، هو تقريب مسافة الخلف بين معلمي اللغة العربية في المدارس وهم من الازهر الشريف، وزملائهم من مدرسي الجغرافيا والكيمياء وغيرها

فأراد أن يتزوّد الفريق الأول من العلوم الكونية بما يبعده عن الغفلة والتحرج في العقائد، وبما يساعده على أداء مهمته ومزاولة عمله على الوجه المرضي، وقد تمّ له ما أراد

وصار العمل بذلك سنة ١٨٧٢ حيث انتخب من الطلبة اثنين وثلاثين طالباً تكلت المدرسة منهم ومن نخبة من المدرسين كان من بينهم ثلاثة من مشهوري علماء الازهر الشريف. ووضعت المدرسة تحت ملاحظة المرحوم حامد نايزي افندي وكان معاوناً بدار الكتب المجاورة لدار العلوم

وبذلك تكون دار العلوم أول مدرسة مصرية أنشئت لتخريج المعلمين

لم يكن للمدرسة يوم انشائها مكان إلاّ تلك الردهة المدرّجة التي كانت تسمى « دار العلوم » وبقيت بها حتى انقسمت الى فصول دراسية سنة ١٨٧٤ فنقلت الى الجانب الجنوبي من سراي درب الجماميز ثم نقلت من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٣ الى درب الجنينة ثم عادت الى درب الجماميز حتى سنة ١٨٩٧

وفي أول اكتوبر سنة ١٨٩٧ نقلت الى بعض حجرات من الجانب الشمالي بمدرسة المبتديان « الناصرية » وكانت في المكان الذي به المدرسة السنية الآن

وفي سنة ١٩٠٠ شيد لها بناء مخصوص من طبقة واحدة في مكانها الحالي من حي المنيرة وكان تحيط به أراضٍ زراعية وبساتين. فنقلت اليه من أول اكتوبر سنة ١٩٠١ وفي سنة ١٩٠٤ بني عليها طبقة ثانية توسيعاً لنطاق أعمال المدرسة، ولما أنشئت تجهيزيتها سنة ١٩٢٠ احتاج الامر الى توسيع بنائها فأضيف اليه جزء عظيم حوى مطعماً ومطبخاً وثلاثة مدرجات في الجزء الشمالي الشرقي خلفها

وقد بقي اسم « دار العلوم » علماً على تلك المدرسة من وقت افتتاحها حتى أول مارس سنة ١٨٩٥ حيث سميت « مدرسة المعلمين الناصرية » وأسندت إدارتها الى حضرة امين بك « باشا » سامي واستمرت بهذا الاسم حتى سنة ١٩٢٠ وهي السنة التي أنشئت فيها التجهيزية فعاد اليها الاسم القديم « دار العلوم »

وقد أخذت المدرسة تسير في طريق الرقي الطبيعي حتى وصلت الى ما هي عليه الآن، إذ أصبحت تضم بين جدرانها من الطلاب ٤٥٧ طالباً ومن المدرسين ٣٨ مدرساً ولها ناظر ووكيل وضابطان وكاتبان

وقد بلغ عدد المتخرجين فيها حتى آخر العام الماضي ٢٤٣٥ منهم ١٤٣ تخرجوا في سنة ٣٥ — ٣٦

اما المواد الدراسية فكانت دعامتها العلوم الشرعية والعلوم العربية وفنون الأدب وعلوم التربية مع بعض المواد الضرورية لتثقيف المعلم كالعلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية مضافاً اليها لغة أجنبية « التركية او الفرنسية او الانجليزية » وكان تعليم اللغة الاجنبية أحياناً اختيارياً وآونة إجبارياً . وقد حذفت الرياضة منها بعد انشاء التجهيزية واضيفت اليها اللغات السامية

واما الاساتذة الذين تولوا تدريس المواد المختلفة فكانوا من أشهر اقطاب العلم والادب في مصر، نذكر منهم الفيلسوف الكبير المغفور له الشيخ حسن الطويل والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والاديب المعروف الشيخ حسين المرصفي والقنوي الشهير الشيخ حمزه فتح الله والاستاذ اسماعيل بك رأفت في التاريخ والجغرافيا . الخ الخ . وجميعهم أساتذتها الآن ممن تخرجوا فيها

وقد استمر اختيار طلابها من طلبة الأزهر الشريف بامتحان يعقد لهم عند الدخول ، حتى انشئت تجهيزية دار العلوم سنة ١٩٢٠ لتغذيتها ، وحصلت أول فرقة منها على شهادة الدراسة الثانوية « قسم ثان » سنة ١٩٢٤ فكونت القسم التالي من السنة المكتبية ١٩٢٤ — ١٩٢٥

واستمر العمل على ذلك حتى بدء السنة الدراسية الحاضرة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ حيث أتيح لحملة الشهادة الثانوية بالجامعة الازهرية ان يلتحقوا بها . وذلك بعد الغاء التجهيزية للمرة الاخيرة سنة ١٩٣٥

ومما تجب الاشارة اليه ان فريقاً من أقدموا الدراسة بمدرسة القضاء الشرعي طلبوا ان يدخلوا امتحان « دار العلوم » للحصول على « المعادلة » في العلوم التي لم يدرسوها فقبل طلبهم وادوا الامتحان سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٦ وما بعدها كما ان كثيراً من طلبة المدرسة المذكورة قد ألحق بالدار بنظام خاص

وفي سنة ١٩٢٤ انشيء بالمدرسة قسم مؤقت من حاملي طلبة الازهر الشريف بجانب الاقسام الأخرى بالمدرسة

ومما يجدر ذكره انهُ يوجد الآن بين طلاب المدرسة نحو ٥٠ طالباً من الاقطار الاسلامية المختلفة يعنى بالأشراف عليهم أستاذ من أساتذة الدار

وقد حصل على اجازة التدريس في السنوات الثلاث الأخيرة من هؤلاء الطلبة ٢٦ طالباً منهم عشرة فلسطينيون ، وسوري، وأردني ، وحضرمي ، وستة عراقيون ، وسومطريتان ، وملايوي ، وطرابلسي ، وتونسي ، ومراكشي

هذا وتزمع الدار ان تسن للدراسة خطة جديدة تساير النهضة القائمة الآن وترمي الى توسيع افق الطلبة في الثقافة العلمية وتوجيههم في الفرق النهائية الى التخصص في اللغة العربية

وعلوم التربية ، ويكون أساس هذه الخطة جعل مدة الدراسة خمس سنوات بدلاً من اربع مع العناية بدراسة لغة أجنبية دراسة اجبارية

— ٢ —

قد كان لهذا المعهد اتصال بأشهر معاهد الدراسات الشرقية في اوربا ممن كان يختار من خريجيه لتدريس اللغة العربية في تلك المعاهد نذكر منها جامعات اكسفورد وكمبردج ومانشستر، ومدارس اللغات الشرقية ببرلين ولندن وباريس الخ الخ

وقد اتصل هؤلاء الاساتذة بالمستشرقين هناك وكان من نتائج ذلك ان نقلوا الينا بعض أساليب هؤلاء المستشرقين في مباحثهم ، وبخاصة تأليف الادب العربي وتدريسه

وأول من نقل الى العالم العربي بعض هذه الاساليب المغفور له حسن توفيق العدل افندي وكان منتدباً لتدريس اللغة العربية بجامعة برلين ، فنقل طريقة الاستاذ بروكلمان في تأليف الأدب العربي عصراً عصراً ، بالطريقة التي يدرس بها الآن ، وله الفضل الاول في سن هذه الطريقة على جميع أساتذة الادب العربي . وهو ايضاً أول من ألف في تاريخ الادب على هذا النحو . وقد درس كتابه في مدرسة دار العلوم ، وسار على سنته استاذ الادب العربي في الدار المرحوم الشيخ محمد المهدي والشيخ احمد علي الاسكندري ومن جاراهما

وكان لاتصال خريجي الدار بالمعاهد الاوربية ، وبكبار المربين في اوربا ، أثر آخر في فنون التربية ، من هؤلاء المرحومون محمد فتحي بك ، والشيخ شاويش بك ، وحسن توفيق افندي وغيرهم ، ممن نقلوا الى اللغة العربية كتباً في فنون التربية المختلفة تعتبر أساساً لنهضة هذه العلوم الآن

— ٣ —

اما سر الاتصال القائم الآن بين دار العلوم والازهر وكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فهو ما يظهر لنا في إبان هذه النهضة الحديثة ، من الرغبة في تفوق كل معهد من هذه المعاهد على غيره ، والمزاحمة في الحياة الفكرية والعملية ، مع ما هنالك من ضيق المجال في الحصول على وسائل العيش ، واحتلال المكان الاول في قيادة النهضة الادبية . وهذا الاتصال فضال شريف ، يبشر بحياة جدية علمية أدبية سيتولاها بلا شك النابغون من خريجي هذه المعاهد

وسينتهي هذا الاتصال بأن يثبت في الميدان المعهد الجدير بالبقاء ، لمآثره وإنتاجه العقلي ، ورسوخ قدمه ، وطول بلائه في اداء رسالته « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

— ٤ —

لا ينكر أحد ما لدار العلوم من الآثار والانتاج في مناحي الحياة الادبية والعلمية في مصر والشرق العربي ومن أهم ذلك ما يأتي : —

١ — قام خريجي دار العلوم بأعباء تدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية ونشر الثقافة العربية في معاهد التعليم على اختلاف طبقاتها زهاء ستين عاماً ، فهي التي نهضت بتعليم اللغة قواعدها وأدبها ، وهذبت نواحي كثيرة من الكتابة ولغة التخاطب ، وقضت على اللهجات العامية والالفاظ الدخيلة التي كانت مسيطرة على ألسنة الكتّاب والخطباء في كل ناحية من نواحي الحياة العقلية ، وهيأت الكتاب في الصحف اليومية والمجلات الادبية والقضاة والمحامين ورجال السياسة وغيرهم لأن يعبروا عن أغراضهم بعبارات عربية فصيحة أو قريبة من الفصيحة ، وثقفت عقول التلاميذ والطلاب حتى اصبحت أحاديثهم العامية معطرة بفصيح الكلام العربي . ولولا أساتذة اللغة العربية الذين بذلوا جهودهم وحياتهم في القيام بهذا الواجب لما وصل آدباؤنا وعلماؤنا وسائر المشتغلين بالعلوم والفنون منا الى ما وصلوا اليه من اجادة التأليف والترجمة

٢ — قد اشترك خريجو هذه المدرسة في القيام بنشر الثقافة الادبية وتدريس فنون اللغة في المعاهد الكبرى كالجامعة الازهرية والجامعة المصرية ولا يزالون إلى الآن عماد التدريس في هاتين الجامعتين واليهم يرجع في كل ما يحتاج اليه من مساعدة في نشر الثقافة العربية وبخاصة الأدب

٣ — شغل كثير من خريجي دار العلوم المراكز المختلفة في مصالح الحكومة وغيرها ، فكان منهم القضاة الأهليون والمحامون المبرزون في القضاء الاهلي والشرعي والمدرسون لعلوم الشريعة المبتكرون لأساليب التدريس الحديث في الفقه الاسلامي بمعهدي الحقوق والقضاء الشرعي ، ولا ينكر احد فضل المغفور له الشيخ محمد زيد بك استاذ القضاة في المحاكم الاهلية . وكتبه تعدُّ في مقدمة المؤلفات الحديثة التي سهلت طرق تدريس الشريعة الاسلامية . كما لا ينكر احد فضل الاساتذة الاجلاء محمد سلامه بك واحمد ابي الفتح بك والشيخ احمد ابراهيم بك في تدريس الشريعة ووضع المؤلفات النفيسة فيها

٤ — أما الانتاج العقلي في المؤلفات والمباحث العلمية والادبية عدا ما تقدم فكثير جداً ولهذه الانتاج إحدى خصائص ثلاث

الاولى : أنهُ أول انتاج في اللغة العربية في مواد لم تكن معروفة :

ومن أمثلته : كتب المرحوم حسن توفيق في الادب والتربية

وكتاب المرحوم محمد نصار بك في التربية وعلم النفس
وكتب المرحوم الشيخ شاويش بك في التربية
الثانية : تيسير تناول بعض انواع العلوم بوضعها في اسلوب حديث يلائم روح العصر والحاجة القائمة
ومن أمثلته :
كتب القواعد للمدارس الابتدائية والثانوية للاساتذة حفني بك ناصف ورفقائه . وتعتبر هذه الكتب أول خطوة نحو تيسير تناول القواعد واستساغتها للتلاميذ المدارس وطلابها . وقد تلتها كتب أخرى حديثة قوامها خريجو « دار العلوم »
وكتابا شذا العرف في علم الصرف وزهر الربيع في علوم البلاغة للمرحوم الشيخ احمد الحلاوي
وكتب المنطق والاصول للمرحوم سلطان بك محمد
وللاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري أثر جليل في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب في فلسفة الشريعة الاسلامية
وللخضري بك مؤلف قيم في تاريخ التشريع الاسلامي
وكتب الادب العربي للاستاذ الكبير الشيخ احمد الاسكندري وكتب فقه اللغة له أيضاً
وفقه اللغة المصور للاستاذ محمد عبد الجواد من أساتذة الدار
ودار العلوم أول من وضع منهجاً لدراسة فقه اللغة في مصر
الثالثة : وصل النظريات الحديثة بالمذاهب القديمة في بعض العلوم كما فعل المرحوم الشيخ شريف بك في كتابه علم النفس ، وكما فعل الاستاذان احمد عبده خير الدين ومحمد حسنين عبد الرازق في كتب المنطق ، ولهما الفضل في وصل المنطق الحديث بالمنطق القديم
وللدكتور احمد ضيف كتاب « بلاغة العرب في الاندلس » وهو مثال للتفكير الادبي الحديث الناضج . وهو أول من قرن الادب العربي بالادب الغربي في تأليفه وتدريسه

***

أما إذا ذكر الشعر فان « دار العلوم » غنية فيه برجالها . وان من أبنائها من يعتبر في طليعة الشعراء وناشري فنون الشعر قديمها وحديثها ، من هؤلاء المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب شاعر البادية والاستاذ علي الجارم بك وكثير غيرهم من أساتذة الدار وطلابها